محمّد الماغوط

رئيس مجلس الإدارة
وزير الثّقافة
الأستاذ محمَّد الأحمد

الإشراف العامُّ
المدير العامُّ للهيئة العامة السّوريّة للكتاب
د. ثائر زين الدين

رئيس التحرير
مدير منشورات الطفل
د. جمال أبو سمرة

الإخراج: رفاه الحو
لوحة الغلاف: يعرب الطلاع

الإشراف الطّباعي
أنس الحسن

كانون الثاني ٢٠١٧

«الشاعر الذي لم تغادره الطفولة»

محمّد الماغوط

(١٩٣٤ - ٢٠٠٦م)

ناظم مهنا

يقول الماغوط في قصيدة من قصائده:

« في طفولتي

كنتُ أحلمُ بجلبابٍ مخطّط بالذهب

وجوادٍ ينهبُ الكرومَ والتلالَ

الحجريّةَ...»

ربَّما لا تختلف حياة الماغوط عن حياة الآخرين من الفقراء في البلدات والأرياف السوريّة، ولم يفصح الشاعر عن تفاصيلَ كثيرةٍ من حياته وطفولته، ولم يكُ غريبَ الأطوار، ولم يسعَ إلى ذلك ليتشبّه بالعظماء، وعلى الرغم من القسوة والشقاء والحرمان منذ الولادة وحتّى الرحيل لم تغادرْهُ الطفولة؛ فقد ظلَّ الطفلَ المشاكسَ والصاخبَ حتّى لحظة خروجه من الحياة.

كثيراً ما كان يتذكّر طفولته المريرةَ، فيخاطبُ أُمَّه وأباه وحبيبته «ليلى» التي قد تكون رمزاً لبلدته

السلمية أو وطنه سورية. وعلى الرغم من ذلك ظلَّ شعره حادّاً ومتحدّياً إلا أنَّ عناد الطفل يظلُّ هو السمة الغالبة على قصائده؛ دائماً ما نلمح صورة الطفل يطلُّ علينا بين الفينة والأخرى، وقليلةٌ هي القصائد التي كتبها الماغوط التي لا يَعبُرُ الطفلُ أو خيال الطفولة بين كلماتها، الطفلُ غيرُ السعيد، طفلُ الفقر والذكريات المريرة والبرد... إلى جانب الفقراء والمعذّبين، الطفل الشاعرُ الذي يطالب بصوت عالٍ أن تتحقّق أمانيه ورغباته وألاّ يبقى شقاءٌ وحرمانٌ في عالمنا، ويعلن للعالم ببراءة وبصراحة مشاكستَهُ وعصيانَهُ وخروجه عن الطفولة الأولى ليدخلَ في طفولة الكبار الذين تزدادُ مطالبُهم، ويعلو احتجاجُهم وصراخهم في وجه الآخرين الذين لا يكترثون لصوت الشعراء، فكيف بهم مع الأطفال الفقراء؟!

عبّرتِ عن هذا البعد الطفولي في شخصيّة الماغوط رفيقةُ عمره الشاعرةُ الراحلةُ «سنية صالح» في مقدّمتها لمجموعة «حزن في ضوء القمر»، التي أُثبَتَ

في مقدمة ديوانه الذي جمع أعماله الكاملة تقريباً، الصادر عن دار العودة - بيروت عام ١٩٨١م؛ تقول سنية صالح:

«في الشعر يمتطي الماغوط حلمه ويغيب، وهو يبحث عن الحماية منذ صغره».



بهذه الكلمات الموجزة، المكثّفة تضع الشاعرة سنية صالح أصابعها على نبض الشعر عند الماغوط، وعلى

ما هو أساسي في قصائده؛ يقول الماغوط في قصيدة «الشتاء الضائع» من ديوان «حزنٌ في ضوءِ القمر»:

«بيتُنا الذي كانَ يقطنُ على صفحة النهر
ومن سقفهِ المتداعي
يخطرُ الأصيلُ، والزنبقُ الأحمر
هجرْتُهُ يا ليلى
وتركتُ طفولتي القصيرة
تذبلُ في الطرقاتِ الخاوية..»

من مدينة السلمية على أطراف البادية السورية، القرية الحائرة بين الصحراء والمدينة خرج الماغوط إلى الحياة، وعاش طفولته وصباه في بلدته حتّى قدم إلى دمشق ثمّ بيروت، ومنهما إلى العالم العربي وبعضِ مدنِ العالم...

كثيراً ما يذكر الماغوط «السلمية» في شعره، فهي موطن ذاكرته الأولى، فيها عاش مدارج صباه مع أقرانه، ورضع منها الفقرَ والحرمان «كما يرضعُ الطفلُ من

ثدي أمه»، يروي عن طفولته، كما يروي طفلٌ للآخرين ما علق بذاكرته من أحداث وصورٍ ومشاهدات، حفرت عميقاً في وعيه، وتركت أثراً في شعره؛ يقول الماغوط:

«في مطلعِ الثلاثينيّات من القرن الماضي لم تكن السلمية مدينة، كانت قرية نائية وباسلة، تنظر إلى وحلها ودخانها وعيونها المحمرّة، كما تنظر الفرس إلى أجراسها... أمَّا التاريخ المتسلسل في المعارك الكبرى فيظّل في جيب المختار...»

وفي الحقيقة، إنَّ «السلمية» على الرغم من قلَّة عدد سكّانها، وصغر حاضرتها على أطراف البادية إلاّ أنَّ لها تاريخاً مجيداً ومكانة كبيرة في ذاكرة التاريخ، ذكرها الشعراء الذين عبروها والذين عاشوا فيها، وشهدت أحداثاً كبيرة جعلت منها حاضرة ثقافية مهمّة على مرِّ العصور؛ السلمية التي مرَّ بها المتنبي وذكرها في شعره وعرفها جيداً، هذه البلدة السوريّة العريقةُ ليس غريباً أن يخرج منها الشعراء والأعلامُ؛ ليس بوصفهم عابرين فقط، إنّما بوصفهم فاعلين ومبدعين مؤثّرين،

ومنهم الماغوط نفسه، الذي يتحدّث قائلاً: عنها

«يحدُّها من الشمالِ الرعبُ

ومنَ الجنوبِ الحزنُ

ومن الشرقِ الغبارُ

ومن الغربِ الأطلالُ والغربانُ

فصولُها متقابلةٌ أبداً

كعيونٍ حزينةٍ في قطار

نوافذُها مفتوحةٌ أبداً

كأفواهٍ تنادي»

هذه صورةٌ شعريّة وصفيّةٌ يقدّمها شاعرٌ عن بلدته...

اعتاد الماغوط في كلِّ ما كتب من شعر ومسرح وزاوية صحفيّة أن يكون متهكّماً ساخراً، ومهما بلغت الصورة التي يقدّمها في كتاباته من غرابة وقسوة ومرارة إلا أنَّها لشدَّة قسوتها تتحوَّل في لغته القائمة على التهكّم إلى حالة تبعث على الإدهاش والغرابة والمفارقة التي يبرع

الماغوط في تقديمها، وتستدعي من القارئ الابتسام المرير.

يغلب على شعره وكتاباته الحزن، وكأنَّ الكلمات نداءاتٌ، وصدىً لعذابات عميقة ومزمنة، ولا يميل الماغوط كغيره إلى تزيين الأشياء التي يقدّمها أو يصوّرُها تصويراً منمّقاً، إنّما يضيف إليها ويضفي عليها من روحه الحزينة ما يجعلنا نتأثّر بكل ما نقرؤه لهذا الشاعر، ونحبُّه على الرغم من قسوته التي تتخطّى أحياناً كلَّ الحدود.

قَدِمَ الماغوط إلى دمشق عام ١٩٤٨م محمّلاً بالصّور مثلما تحمل الغيومُ المطر، مشحوناً بالغضب والأحلام، جاء إلى دمشق ليدرسَ في معهد زراعيٍّ في الغوطة الدمشقيّة، كانت تعصفُ بوطنه سورية في تلك الفترة الاضطراباتُ السياسيّةُ والاجتماعيّةُ، وقد نال الاستقلال وجلا الاستعمارُ عن أرضه حديثاً.

عاش الماغوط كلَّ تلك الأحداث، وتأثّرَ بها كما تأثّرَ كلُّ أبناء جيله، وكانت المأساة الكبرى، مأساة فلسطينَ

بمنزلة بركان تفجّر معه الحزنُ العربي، الحزنُ والغضبُ الذي يمورُ في نفوس العرب وعبّر عنه الأدباء والشعراء أصدقَ تعبير، وبلغ الأمرُ مع الماغوط حدَّ الفجيعة، فصرخ في شعره كالمفجوع، وأشهر غضبه كسيف جُرِّدَ من غمده، وزاد من إصراره على الطفولة، لأنَّه لا يريد أن يكبرَ مع هذه الفاجعة، معلناً للكبار الذين حمّلهم جزءاً من المسؤوليّة، أنَّه يريد أن يعود إلى بلدته؛ أي إلى طفولته، وكما هو معلوم لا يؤخذ الشعر عادة من الكلمات الصَّريحة، بل ممّا يوحي به، ويرمز إليه من حقائق ظاهرة ومستترة، وفي شعر الماغوط يوجد هذان المستويان بالإضافة إلى مستويات أخرى لا مجال هنا للخوض فيها؛ وعلى الرغم ممّا تبدو عليه قصائده من بساطة إلاّ أنَّها محمّلة بالمعاني والصور المدهشة، والإشارات إلى أحداث ومواقف.

واجه هذا الشاعر العالم بتحدٍّ وشراسة أحياناً، وأعلن للعالم قدومه إلى الشعر من الأماكن القصيّة الحارّة والباردة، كقروي أربكته زحمة المدينة... فكان

البدويَّ، والفلاحَ، البدائيَّ والمتحضّر الذي لا ينفكُّ يتحدّث عن السفر وعن القطارات والموانئ والسفن المهاجرة، وهو يدقُّ بقدميه الثقيلتين أرصفة المدن.

مع الفاجعة القومية في فلسطين كَبُرَ الطفلُ وشاخ قبل الأوان، وصارت كلماته الجارحة أو الحارقة كالجمر، وأصبحَ شعرُهُ الذي يمتزج فيه الذاتي بالموضوعي أو الخاصُّ بالعام، أكثر تأثيراً في القرّاء، وكرّستْهُ موهبته الصادقةُ والعفويّةُ شاعراً كبيراً وصوتاً شعريّاً لا يمكن لأحدٍ أن يتغافل عنه أو أن يصرف النظر عن أهميّته ومكانته في الشعر العربي الحديث، ووقف بجدارة إلى جانب بدر شاكر السيّاب، وخليل حاوي، ونزار قباني، وأدونيس، وغيرهم منْ شعراءِ جيله.

لا يستطيع أحدٌ أَن يديرَ وَجهَهُ لَشعر الماغوط، لأَنَّ شعرَهُ قويٌّ وشرسٌ وتهكميّ ومؤثّر، ومن باب المجاز والبلاغة في القول، إنَّ لشعر الماغوط أصابعَ فولاذيةً، وأظافر قويّةً، تنشب في وجه البلادة والتكرار والسفاهة والفساد...

ظهر الماغوط بين رفاقه من شعراء الحداثة صوتاً فريداً ومتفرّداً لا يشبه أحداً ولا يشبهه أحد، وعلى الرغم من أنّ كثيرين حاولوا أن يتشبّهوا به أو يقلّدوه إلاّ أنَّهم لم ينجحوا، من هنا تأتي خصوصيّةُ الماغوط وفرادتُهُ بوصفه شاعراً مُبدعَاً، فكانت قصائده بسيطة المفردات والتراكيب والَجُمَلِ ولكنّها جارحةٌ، عميقةُ التأثير، مشحونةٌ بالتعبيرِ.

قدّمَهُ «أدونيس» في بيروت إلى شعراء مجلة شعر، وعلى رأسهم يوسف الخال، ومعه أنسي الحاج، وشوقي أبو شقرا، وفؤاد رفقه؛ وقرأ قصائد له من دون أن يكشفَ لهم ذلك، فاعتقدَ بعضُهم أنّها قصائد لرامبو، أو بودلير، أو أنَّها قصائد لشاعرٍ عالميٍّ، ثمَّ أشار لهم أنّها لهذا الشاعر الذي يجلس بينهم «محمد الماغوط».

إنّه صوت الشاعر الغاضب، المتمرّد على واقعه الذي يريد أن يكون صوت الفقراء المحرومين الضائعين في المدينة، مثله مثل الشعراء الكبار في العالم. كانت أحاسيسُ الماغوط وروحُهُ المتمرّدة ذاتَ تأثير في طريقة

كتابته الشعرَ، لقد تمرّد حتّى على الشعر نفسه، فكتب شعراً بلا وزنٍ وبلا قافية، ومعه صارت قصيدة النثر القلعةَ الحصينةَ التي يلوذُ بها شعراءُ هذا النوع من الشعر الجديد الذي لاقى الرفضَ والإنكار من الشعراء العرب ومن القرّاء في بداية الأمر، ثمّ ما لبث أن استقرَّ، وأخذ اعترافاً بوصفه نوعاً حديثاً وجديداً من الشعر، وتوسّع انتشارُهُ وصار من الصعب نكرانُ حضورِه، وللماغوط دورٌ في ترسيخ هذا النمط من الشعر الذي أجاد به أكثرَ من غيره، وكان دائماً مثالاً يُحتذى به في نجاح هذا الشعر، فالشاعر المبدع والقويُّ يستطيع أن يرسّخَ أسلوبه مهما بدا غريباً ونافراً، وهذا ما فعله الماغوط.

كَتَبَ الماغوطُ إلى جانب الشعر، المسرحيّات والزاوية الصحفية والسيناريو التلفزيوني والسينمائي، وكتب الرواية أيضاً، فله روايةٌ واحدةٌ يتيمة، هي: «الأرجوحة». وكتاباتُهُ كلُّها تشبه شعرَهُ من حيثُ روحُ التهكّم والمفارقةُ

في تقريب المتباعدات والمتنافرات وتأكيد البديهيات ونقضها.



الماغوط مع شعراء مجلة شعر

لا يفاخرُ الماغوط بنفسه، ولا يُقَدّمُ نفسَهُ إلا بوصفه واحداً من النَّاس الغاضبين على الواقع الذين يريدون تغييره ليكون أكثر إنسانية ودفئاً.

حساسيّة الماغوط ونقدُهُ اللاذع حبّبتا القرّاء بهِ، ولكن، على الرغم من هذا النقد وهذه الصراحة الجارحة في كتاباته، وعلى الرغم ممّا يبدو عليه من تشاؤم إلاّ أنَّه يؤمنُ بالإنسان وبإرادة الحياة، ونلاحظ ذلك في كثير من قصائده الشعريّة، ومواقفه التي يعبّر عنها في مقالاته المميّزة.

يقول في قصيدة: «إلى بدر شاكر السياب» صديقه الشاعر العراقي الذي عانى من الفقر والمرض حتّى غلباه، ورحل بشكل مأساويٍّ وكان فاعلاً ورائداً من روّاد الحداثة الشعريّة العربيّة حتّى لحظة رحيله وبعدها:

«يا زميلَ الحرمانِ والتسكّعِ

حزني طويلٌ كشجرِ الحورِ

لأنّني لستُ ممدّداً إلى جوارِكَ

ولكنّني قد أحلُّ ضيفاً عليكَ

في أيَّةِ لحظةٍ

موشّحاً بكفني الأبيض كالنساء المغربيّات...»

وفي قصيدة «المسافر» يقول مخاطباً أباه من عالم بعيد خارج الطفولة ويحنُّ إلى هذه المرحلة:

«منذُ مدّة طويلة لَمْ أرَ نجمةً تضيءُ
ولا يمامةً تصدحُ شقراءَ في الوادي
لم أعدْ أشربُ الشايَ قربَ المعصرَة
.. لم أعدْ أجلسُ القرفصاءَ
في الأزقّة، حيثُ التسكّع...
فارسل لي قرميدةً حمراءَ من سطوحِنا
وخصلةً من شعرِ أمّي...
التي تطبخُ لكَ الحساءَ في ضوءِ القمر
حيثُ الصهيلُ الحزينُ
وأعراسُ الفجرِ في ليالي الحصاد
بعْ أقراطَ أختي الصغيرة
وارسلْ لي نقوداً يا أبي

لأشتري محبرةً
أعطني طفولتي
وضحكاتي القديمةَ على شجرةِ الكرزِ
وصندلي المعلّقَ في عريشةِ العنب...»

❖❖❖

هو وسنية صالح

في بيروت وفي منزل الشاعر أدونيس تعرّف الماغوط بالشاعرة سنية صالح، وهي شقيقة زوجة أدونيس الناقدة خالدة سعيد، أُعجبت سنيةُ بشعر الماغوط وصارت زوجته؛ وعن علاقته بها يقول:

«هذه العلاقة أثمرت شعراً وأكداساً من الحزن والألم والذكريات، لقد أدّت سنية دوراً مهمّاً وكبيراً في حياتي منذ التقيتها أوّل مرّة.

أعترف أنّني اقترفت أشياءَ كثيرةً في حياتي، لكنّني لم أدع ذلك يؤثّرُ في شعري أو عائلتي أبداً. لقد رثيتها في «سيّاف الزهور»، وهو أجمل ما كتبت، أهو احتجاج على موت سنية، على الحياة التي اغتالت لحظاتِنا الجميلةَ، أم نحن الذين اغتلناها؟!

لقد توقّف قلبي لأوّل مرّة حين غادرتني سنيةُ، وتركتني وحيداً مع حزني وذكرياتي، وطفلتين هما «شام» وقد أصبحت طبيبة، و«سلافة» وهي خريجة فنون جميلة؛ قلتُ في سياف الزهور:

«كالجنديّ الجريح
لم أستطعْ أن أحملك
بضعَ خطواتٍ
إلى قبرِكَ».

هذه صورةٌ موجزةٌ من ملامح حياة الشاعر، وعلاقته الوثيقة بالطفولة حتّى وهو في سنّ النضج لم تغادرْهُ طفولته أبداً، ولم تختف من شعره ولا من أعماله، لقد قُيّضَ للماغوط بفضل موهبته الاستثنائية أن يكون الشاعرَ ذا المكانة المرموقة وأحدَ كبار الشعراء العرب المعاصرين.

انتهت حياة الشاعر في ٣ نيسان عام ٢٠٠٦م بعد صراع طويل مع المرض، في مدينة دمشقَ، وودّعته الحياة الثقافيّة السورية والعربية، ودُفِنَ في مسقط رأسه في السلمية.

مسرح الماغوط:

كتب الماغوط، إلى جانب الشعر، الرواية والمقال والمسرحية، ومسرحُهُ الساخرُ المتهكّمُ يندرج تحت لافتة المسرح السياسي النقدي الذي ينتقد المجتمع من القمّة إلى القاعدة وبالعكس أيضاً.

يرى الناقد «صلاح حزين» أنَّ مسرح الماغوط مسرحُ أفكار أساساً، لكنَّهُ لا يعبّر عن هذه الأفكار من خلال أحداث متسلسلة تتطوّر دراميّاً نحو ذروة تُحَلُّ في نهاية المسرحيّة، وعلى إيقاع هذه الأحداث تتطوّر الشخصيّات، وتتحدّد مصائرها، كما هو شأن المسرح التقليديِّ، بل من خلال معادلة مختلفة تماماً، معادلة تتوالى فيها المشاهد مشهداً إثر الآخر لترسم في النهاية صورةً داكنةً لمجتمع مُخرّب، والمواطن فيه في أقصى حدود الفقر والبؤس.

ويقول أيضاً: «المعادلة المسرحيّة لدى الماغوط تبدو بسيطةً لا تعقيد فيها، فهي تنطلق من وضع المجتمع أمام تناقضاته مباشرة من دون أيّةِ محاولة

للتنميق أو التجميل أو التزيين؛ تناقضاته اجتماعية وسياسية وثقافية وقيميّة، تبدو في كثير من الأحيان مضخَّمة في صورة كاريكاتورية تستثير ضحكاً كالبكاء، والشخصيّات في مسرحيّاته تنتمي إلى ذلك النوع المعروف بالشخصيّات المسطّحة، وهي الشخصيّات التي لا تتطوّر درامياً على مدى زمن المسرحية،



الماغوط مع شعراء مجلة شعر
بحضور الشاعر بدوي الجبل

ليس لعيب في تركيبها الدرامي أو في رسمها؛ بل لأنّها تمثّلُ قيمةً اجتماعيّةً».

ويقول «بيير أبي صعب» عن الماغوط: «هذا الكناريّ المسافر في ضوء القمر، كلُّ قصيدةٍ من قصائده مناخاتُها مسرحيّة، وكلُّ مقالة من مقالاته أيضاً قابلة للمسرحة، مسرح محمد الماغوط يبدأ من اللغة العفويّة اللاذعة، الكاشفة المتدفّقة ببراءة ريفيّةٍ لم تقوَ أرصفةُ المدن على ترويضها، مسرحٌ ديكورُهُ مفرداتٌ أشبَهُ بثمارٍ وحشيّةٍ يرصفُها الشاعر ويدمجُها تبعاً لقوانينَ غامضةٍ وكيمياء خاصة».

شهادات:

نورد هنا بعض الشهادات عن الشاعر، بعضها كُتب في أثناء حياة الماغوط وبعضها عقب رحيله:

- «أنت يا محمد أصدقنا، أصدق شعراء جيلنا. حلمي أن أكتب بالرؤى وبالنَفَس البريء البعيد النظر الذي كنتَ تكتبُ به في الخمسينيّات، كان حزنُكَ وتشاؤمُكَ أصيلين، وكان تفاؤلنا وانبهارُنا بالعالم خادعاً».

الشاعر نزار قباني

- «كلمات الماغوط شرسة، ومع ذلك فإنّها قادرة على تحقيق إيقاع عذب ومدهش وأحياناً مفاجئ، كأن يتحوّل صليلُ السلاسل إلى عزف منفرد أمامَ عينيك ذاتهما في لحظة واحدة».

غسان كنفاني

- « ... وعادت بي الذاكرة سنوات إلى الوراء حين كُنَّا لا نعيش إلاّ للشعر والحلم، كنّا نطمحُ إلى تغيير الواقع المرير بالكلمة الصادقة، وكانت كلمة محمد الماغوط مثالاً لنا وقدوة، وتوالت الأيَّامُ، فماذا بقي لنا؟ بقي لنا

الشعر والحلم، لكنَّ الواقعَ المريرَ أصبح أمرَّ، وبدل أن نغيّره غيّرنا هو».

يوسف الخال

– «أمام محمد الماغوط أتحوّل كلَّ أسبوع إلى قارئٍ، هذا الرجلُ لا يخاطبُ ضمائرنا فقط، فمخاطبة ضمائر نائمة لا تكفي، إنّه يصفعُنا بقوَّة تهدُّ أكبر الرجال، لقد أصبح الومضة الوحيدة في هذا الظلام الكامل».

نبيل خوري

الشهادات التي قيلت بعد رحيله:

- «كان الصديقُ العزيز محمد الماغوط عبقريةً شعريةً ونثريةً ومسرحيةً، وكان على درجةٍ كبيرةٍ منَ الأنفة، إنَّ هذه العبقريةَ من النادر أن تكونَ ممدودةً بزمنٍ معيّن، فهي تمتدُّ على قرونٍ طوالٍ، ولقد شاء الحظُّ أنْ نفقدَ شاعراً من قبل كبيراً، كانَ نثرُهُ شعراً، هو الشاعرُ نزار قباني، واليوم نفقدُ شاعراً آخرَ هو محمد الماغوط، ومع أنَّ سوريةَ كانت قديماً وحديثاً منجماً إبداعياً إلا أنَّ العبقرياتِ لا تأتي دورياً».

حنا مينة

- لا أحدٌ مثلَهُ يستطيع أن يحكي عن موتِهِ، أو أن يعلّقَ على كونه غادر هذا العالم، مضى بجسدِهِ الذي خانَهُ، أمَّا نتاجُهُ فشجرةٌ لا أحد يستطيع أن يقطفَها، أمَّا اليباس فلن يأتي عليها، وإنّني لأراها خضراءَ وارفةَ الظلالِ، ومحمد يغرّدُ فوقَها ويقودُ الأوركسترا كما يشاءُ».

شوقي أبو شقرا

- «كتابات الماغوط أشبه بحصان طروادة في اقتحامها الأسوار العمودية والدخول من الباب الذي لم تستطع الدخول منه محاولات سابقة ومعاصرة لم تتميّز بالزخم الشعري نفسه...، إنَّ بداية الهجوم لا تقع على التجارب الأولى لأنسي الحاج وأدونيس في قصيدة النثر؛ إنّما على الماغوط دون سواه، وذلك لاتّساع أصداء كتاباته مع تتابع نشرها ..».

جابر عصفور

- «محمد الماغوط بالنسبة إليَّ ليس مجرّد اسم علم فقط، بل هو اسم جنسٍ أدبيّ، لقد ارتبطَتْ قصيدةُ النثر به تحديداً على الرغم من أنَّ نصَّه بقي منذ البداية خارجَ السياقِ العام الذي تحرّكَتْ فيه قصيدة النثر العربية فيما بعد؛ الماغوط يَسْخَرُ من كلِّ شيءٍ بدءاً بذاته بينما تفتقرُ قصيدةُ النثر العربية كليّاً إلى السخريةَ وَتتقمّصُ لغةً متجهّمةً..».

زهير أبو شايب

- «طلع علينا محمد الماغوط من الركن القصيِّ

للمشهد مجترحاً حزنَهُ ولمستَهُ الجارحة للعتمة المسكوت عنها حزناً صادقاً جريئاً يمسُّ الشغاف، وهنا نستطيع أن نكتشف قوّة الصدمة، وعمق الدلالات الإبداعية التي أحدثتها نصوصه في تلك اللحظة».

قاسم حداد

- «مثل ومضٍ حاذقٍ يُنْصِبُ فخاخَهُ، يدفعُكَ إلى قراءته بنظرةٍ تبدّدُ السكون فيك، تحرّضُكَ على أن تخرجَ عن صمتكَ وسكونيّتكَ المريبة، يدفعُكَ إلى الاحتجاج على الوقوف في متاهة البلادة، يخرج بك إلى فضاءٍ تسبحُ فيه طيورٌ ملوّنةٌ».

غازي الذيبة

- «... الماغوط، هذا الطفل الذي لا يكفُّ عن الاحتجاج لقلّة الحُبِّ أو لقلّة الحليب أو لقلَّة الاحتضان، لم تغادرْهُ عواطفُ الأطفالِ، إنَّه طفلٌ لجوجٌ وملحاحٌ في الصّراخ، طفلٌ مسكونٌ بالرعبِ مِنَ العالمِ».

محمد عضيمة

- «وإن يكن الماغوط» أحدَ أطولِ قامات الشعر في كلّ

العصور» كما يصفُهُ إلياس مسوح، فإنّه أحدُ المغامرين الكبار في حقل الكتابة الصحفية».

موسى برهومه

- «في شعر الماغوط ثَمَّةَ خيالٌ خصبٌ ومشهديةٌ تُغري القارئ بتأمّلهَا وتلمّس فيوضاتها إلى الحدِّ الذي تصبحُ فيه قصيدَةُ الشاعرِ موجةً عارمةً، وجَسَدُ القارئ ريشةً مقذوفةً على سَطحهَا؛ فالقصيدةُ عندَهُ تتكئُ على جماليّات السينما والفَنِّ التشكيلي والمسرح والسردِ. لقد امتلَكَ الماغوطُ باستمرارٍ تلك العينَ الرائيَــةَ، وبنى بواسطتِها عالمــهُ السحريَّ من الصور والألوان».

يوسف عبد العزيز

- «الصورة الحادّةُ، والقول الجارحُ هما من المقوّمات الأساسيّة لنصوص الماغوط الجميلة، والصورة الحادّة لديه إنَّما هي القادرة على الكشف والتعرية في تجنّبٍ شبهِ مقصودٍ لوسائل التهويل وللمبالغات الكلاميّة الفارَغة، الصورة الشعرية لدى الماغوط تنطوي دائماً

على إحساس بالفاجعة، ذلك أنَّ الأوضاع العربية ليست سوى الفاجعة بعينها، ويستطيع الشاعر، وهو ينظر إليها، أن يعيش الغرابة في أقسى مظاهرها، لقد أراد الماغوطُ أن يكونَ شاهداً على مأساويّة الأوضاع التي عايشها، أرادَ أن يكونَ الشاهدَ الصادق الذي يمتلك الرؤية الثقافية، ويجترحُ في كتاباته الصورَ الباهرة».

جودت فخر الدين

- «ما يتبقّى من الماغوط كثيرٌ، وكما أشارَت الشاعرة سنية صالح بأنَّهُ من أوائل من حملوا بوادرَ قصيدة النثر، وأعتقد أنَّهُ قد وصل إلى أبعد من هذا الحمل، إلى مناطقَ مدهشةٍ في ضواحي هذه القصيدة التي باتت تشكّل ما يشبهُ مركزاً أو متناً له أهميّته».

سيف الرحبي

- بعدَ وفاة الماغوط بساعات، توجّهتُ إلى بيته في حيٍّ المزرعة بدمشق، كاد البيت يكون خالياً إلاّ من سيدة، هي صديقةٌ قديمةٌ للماغوط يعلو وجهَها حزنٌ أنيقٌ، وشابٌّ عرّفني بنفسه، أعتقد أنّه ابنُ أخت الشاعر

الراحل، لم تكن ابنتا الشاعر في البيت، ربَّما كانتا خارج سورية، قدّمْتُ التعازي، وأرسلتُ خبراً إلى الجريدة التي كنتُ أكتبُ لها آنذاك، وهي جريدة عربية تصدر من لندن، ووَضعَت الجريدةُ الخبر على صفحتها الأولى، ثمَّ بعد أيَّام على الوفاة، طُلبَ إليَّ على الهاتف شهادةٌ لجريدةِ تشرين أوردُها هنا :



«واجه الماغوط العالم بشراسة، وأعلن قدومه إلى الشعر من الأماكن القصيّة الحارّة والباردة، فكان البدويَّ والفلاح، يدقُّ بقدميه الثقيلتين أرصفة المدينة.

لا يستطيع أحد أن يدير وجهَهُ لشعر الماغوط؛ لأنَّ شعرَهُ قويٌّ وغاضبٌ شرسٌ وتهكّميٌّ!... إنَّ لشعر الماغوط مخالب وأنياباً فولاذية ضربَتْ في جَسَد البلادَةِ والتكرارِ، فكان صوتَ الغريزة الأكثر حضوراً في الحَداثة؛ أكثر من أيِّ شخصٍ آخرَ، وقد تفلَّت من الأساطير ومقولات الانبعاث والرجوع إلى الماضي، وظهر كماردٍ متمرّدٍ لم يوقفْهُ شيء، وكتب دواوين قليلة فيها عشراتُ القصائد الجارحة، شعرُهُ بسيطٌ ومؤثّرٌ؛ لأنَّهُ صوتُ الذات المغمّسة بالتجربة، الصوت الخارج من الحياة على شكل صرخة ضدَّ الزيف والنفاق فكان صوت الغضب؛ غضبِ الجائعين والمحرومين والمعذّبين والحالمين بمستقبلٍ أجملَ.

❖❖❖

يشبهُ شعراء عالميين، مثل: رامبو، ومايكوفسكي، وبريخت من دون أن يقلّد أحداً منهم، فالماغوط بالدرجة الأولى يشبه ذاته، متفرّداً ومكتفياً بها.

وبالمعنى العام؛ كان الماغوط منذ ظهوره الشعريِّ في الخمسينيّات بمباركة ورعاية من أدونيس، وخالدة سعيد، وسنية صالح وجماعة شعر وعلى رأسهم يوسف الخال الإنسانَ العربي الجديد، إنسانَ الاحتجاج والرفض، ومن هنا كانت قوته في خارطة الحداثة الشعرية، معبّراً عن هذا الصوت الجهوري على طريقته الخاصة.

وبرحيله الهادئ نخسرُ هذا الصوتَ الراسخَ وهذه القوّة اللازمةَ لإنشاء التوازن بين المُدجّنين وغير المدجّنين، ولابدَّ أنَّ رحيلَهُ قد أحدثَ خللاً في صميم هذا التوازن، فقد كانَ يعادلُ جمهرةً كاملةً من الشعراءِ، وهو الذي شكّل بوجوده حصناً عصيّاً على الاستباحة للقصيدة الجديدة على مدى عقود، ولولا هذا الحصنُ الذي شكّله الماغوط لاستفردوا بالشعراء

الجدد، وفرّقوهم شذرَ مذرَ، ولكانوا في موقف حرج لا يُحسدون عليه.

لقد قال ما أراد أن يقولَهُ بالشكلِ المناسب، وأتمَّ رسالتَهُ، ومضى بعد أن اطمـــأنَّ إلى أنَّ الشعرَّ الجديد صار قويّاً وراسخاً».

مقاطعُ مختارةٌ من شعره

جنازة النسر

أظنُّها مِنَ الوطن
هذهِ السحابةُ المقبلة..
أظنُّها من دمشق
هذهِ الطفلةُ المقرونَةُ الحواجب
هذهِ العيونُ الأكثرُ صفاءً
من نيرانٍ زرقاءَ بينَ السّفُن
أيُّها الحزنُ يا سيفيَ الطويلَ المجعّد
الرصيفُ الحاملُ طفلَهُ الأشقرَ
يسألُ عن وردةٍ أو أسيرٍ
عن سفينةٍ وغيمةٍ من الوطن»

من ديوان: حزن في ضوء القمر

المسافر

بلا أملٍ...

وبقلبيَ الذي يخفقُ كوردةٍ حمراءَ صغيرة

سأودّعُ أشيائي الحزينةَ في ليلةٍ ما ..

بقع الحبرِ.

والآثار الباردة على المشمَّع اللزجِ، وصمت الشهورِ

الطويلةِ

والناموس الذي يمصُّ دمي

هي أشيائي الحزينة

سأرحلُ عنها بعيداً، بعيداً

من ديوان: حزن في ضوء القمر

الشتاء الضائع

.. غداً يحنُّ إليَّ الأقحوان

والمطرُ المتراكمُ بين الصخور

والصنوبرةُ التي في دارِنا

ستفقدني الغرّافاتُ المسنّة

وهي تئنُّ في الصباحِ الباكرِ

حيثُ القطعانُ الذاهبةُ إلى المروجِ والتلال

تحنُّ إلى عينيَّ الزرقاوين

وفي خطواتي المفعمة بالبؤس

والشاعريّة

تكمنُ أجيالٌ

مكتنزةٌ بالنعاسِ والخيبةِ والتوتُّرِ

من ديوان: حزن في ضوء القمر

بكاء في رحلة صيد

منذُ أنْ غابَ عنّا ذلكَ الغريب

أضحَتْ خرائِب قاتمة

تصفرُ فيها الريح

تنعقُ فيها الغربان

لن يصدّقوا أبداً أنَّه مات

وأنَّ فمَهُ الشهيَّ
انتُزعَ مِنَ الأرضِ بالملاقط
سيقولونَ إنَّ روحَهُ
ما زالت ترفرفُ في كبدِ السماء
وإنَّه راقدٌ في علياءِ الكون
كما ترقُّ الفراشةُ في أذنِ الطفلِ

من ديوان: غرفة بملايين الجدران

اليتيم

آهٍ..
الحلمُ..
الحلمُ
عربتي الذهبيّةُ الصلبة
تحطّمَتْ، وتفرَّقَ شملُ عجلاتِها
كالفجرِ في كلِّ مكانٍ..
حلمْتُ ذاتَ ليلةٍ بالربيع

وعندما استيقظْتُ

كانَتْ الزهورُ تغطّي

وسادتي!..

وحلمتُ مرّةً بالبحر

وفي الصَّباح

كانَ فراشي مليئاً بالأصداف

وزعانفِ السمك..

من ديوان: الفرح ليس مهنتي

أهمّ أعمال الماغوط:

الشعر:

- حزن في ضوء القمر ١٩٥٩م.
- غرفة بملايين الجدران ١٩٦٠م.
- الفرح ليس مهنتي ١٩٧٠م.
- البدوي الأحمر.

المسرحيات:

- العصفور الأحدب ١٩٦٣م.
- المهرّج، ضيعة تشرين، غربة، كاسك يا وطن، شقائق النعمان، المارسليز العربي.

السينما:

له سيناريوهات سينمائية: الحدود، التقرير، المسافر.

- الرواية:

- الأرجوحة ١٩٩٢م.

الأعمال التلفزيونية:

- وادي المسك.

- حكايا الليل.

- تُرجمت أعمال الماغوط إلى لغات عدّة منها: الفرنسية والإنكليزية والإسبانية والألمانية.

من الجوائز التي حصل عليها الشاعر:

١- صدر مرسوم من السيّد الرئيس بشّار الأسد رئيس الجمهوريّة العربيّة السوريّة بمنح وسام الاستحقاق من الدرجة الممتازة للشاعر محمّد الماغوط عام ٢٠٠٥م.

٢- جائزة سلطان بن علي العويس للشعر عام ٢٠٠٥م.

٣- جائزة جريدة النهار لقصيدة النثر عن ديوانه الأول: «حزن في ضوء القمر» عام ١٩٦١م.

صدر من سلسلة مبدعون

	اسم الكتاب	المؤلف
١	حنّا مينة	د . شوقي المعري
٢	سهيل عرفة	محمود يوسف
٣	محمد الفراتي	أسعد الديري
٤	عزيزة هارون	عيسى فتوح
٥	جودة الهاشمي	د . هشام الحلاق
٦	تيسير السعدي	وفيق يوسف
٧	أمين بن عبد العزيز الخياط	أحمد المفتي
٨	د . مسعود بوبو	د . محمد قاسم
٩	د . عبد الكريم اليافي	جمانه نعمان
١٠	النهضوي الزهراوي	خليل البيطار
١١	محمد وليد مارديني	إيمان مارديني
١٢	عبد الرحمن الكواكبي	محمود يوسف
١٣	نديم محمد	منذر يحيى عيسى
١٤	قمر كيلاني	لينا كيلاني
١٥	محمد الماغوط	ناظم مهنا

الكاتب في سطور

- ناظم أحمد مهنا، كاتب وقاص سوري ولد عام ١٩٦٠م.

- إجازة في اللغة العربية وآدابها - جامعة دمشق.

- له مقالات أدبية وفكرية نشرت في الصحف والمجلات السورية والعربية منذ مطلع الثمانينيّات في القرن العشرين.

- أسهم في إطلاق مجلات ثقافية في سورية ولبنان - ومجلات منوّعة.

- له قصص للأطفال منشورة في المجلات المختصة و /١٢٠/ تمثيلية إذاعية لبرنامج «براعم الغد» في الإذاعة السورية.

- أعماله المنشورة:

١- حرّاس العالم - قصص - وزارة الثقافة - دمشق ١٩٩٦م.

٢- مملكة التلال - قصص - دار الينابيع - دمشق ١٩٩٧م.

٣- الأرض القديمة - قصص - دار أبو لودور الدمشقي - دمشق طبعة ثانية ٢٠١١م.

٤- منازل صفراء ضاحكة - قصص - دار نينوى - دمشق ٢٠٠٣م.

٥- بابل الجديدة - مقالات في الثقافة والأدب - الهيئة العامة السورية للكتاب ٢٠١٦م.

٦- ملحمة كلكامش - كتيّب صادر عن مجلة أسامة - نسخة مبسّطة ومختصرة.

٧- مجموعة قصص للأطفال (مخطوطة).

- يعمل حالياً رئيس تحرير مجلة المعرفة الصادرة عن وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب.